قضايا المواطنة كما يعكسها الفيلم السينمائي

رؤية سوسيولوجية بين الواقع والسينما

ورقة بحثية

ضمن المؤتمر الدولي المدمج :

" تحديّات التربية على المواطنيّة في العصر الرقميّ في ظلّ الأزمات والعولمة "

الذي نظم من قبل الجمعية اللبنانية للتجديد التربوي والثقافي الخيرية برئاسة السيدة ريما يونس بالشراكة مع كلية التربية في الجامعة اللبنانية والجامعة الإسلامية في لبنان والمعهد اللبناني لإعداد المربّين في جامعة القديس يوسف وبالتعاون مع وزارة الثقافة اللبنانية والسفارة الفرنسية (قسم التعاون الثقافي) والمعهد الفرنسي للتربية التقويمية في فرنسا والمجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع وجامعة استانبول ايدين في تركيا – قسم علم الاجتماع وجمعية ديان ومركز تنمية الموارد البشرية للدراسات والأبحاث في برلين والمنتدى العالمي للأديان والإنسانية وجمعية النور للتربية والتعليم وجمعية بلادي والمنتدى العربي لدراسات المرأة والتدريب والأكاديمية المصرية للتربية الخاصة

لبنان – الحدث – مدينة رفيق الحريري الجامعية

الباحثة : الدكتورة أمل فراج

جامعة القاهرة – كلية الآداب – قسم علم الاجتماع

الملخص :

يُثير البحث الراهن قضايا وتساؤت حول المواطنة بين شواهد الواقع الاجتماعي العربي المعاصر وانعكاساتها في الفيلم السينمائي. يناقش البحث الراهن قضايا المواطنة عبر مستويين؛ الأول: المستوى الواقعي بما يُمثله من قضايا المواطنة في الوطن العربي .والثاني: المستوى السينمائي ويجسده الفيلم السينمائي الذي يطرح الرؤية السينمائية لقضايا المواطنة في ضور الرؤى التقليدية للمفهوم، والرؤى الحداثية في ظل العولمة.

1- أهداف البحث: يتحدد الهدف الرئيس للبحث في التحليل السوسيولوجي لقضايا المواطنة في الواقع العربي المعاصر كما يعكسها الفيلم السينمائي.

وينبثق من هذا الهدف العام والمُجرد مجموعة أهداف فرعية:

-تحليل قيم المواطنة بين الواقع الاجتماعي والصورة السينمائية.
- التحليل السوسيولوجي للمواطنة في ظل العولمة.
- المقارنة بين قيم المواطنة على المستوى المحلي و الكوني (العالمي).

2- منهجية البحث

❖ عينة البحث: عينة عمدية من الأفلام السينمائية التي تعكس قضايا المواطنة.

1. فيلم الحدود: سوري أنتج عام 1984. كتب نصه السينمائي محمد الماغوط، إخراج دريد لحام.
2. فيلم المواطن مصري: مصري إنتاج عام 1991 إخراج صلاح أبو سيف .
3. فيلم الآخر: مصري إنتاج عام 1999، من إخراج يوسف شاهين .
4. فيلم كفر ناحوم : فيلم لبناني من تأليف وإخراج نادين لبكي، إنتاج عام 2018.

❖ أساليب التحليل ولتفسير: الأسلوب الكيفي في ضوء قضايا البحث والمقولات النظرية المفسرة.

انتهى البحث إلى أن الصورة السينمائية المُمثلة فى عينة البحث- قد نجحت في أن تعكس صورة حقيقية للواقع الاجتماعي اتعكس لنا قضايا المواطنة وبهذا يمكننا أن نقول أنه في ضوء التحليل السوسيولوجي للفيلم السينمائي، فإن السينما في تيارها الواقعي هي مرآة عاكسة لهموم وقضايا الانتماء والعدالة وقد صورت لنا هموم المواطن العربي عبر مستويات محلية وإقليمية وعالمية (دولية) .

Abstract

The current research raises issues and questions about citizenship between the evidence of the contemporary Arab social reality and its reflections in the cinematic film. The current research discusses citizenship issues across two levels; the first: the realistic level of citizenship issues in the Arab world. The second: the cinematic level, embodied in the cinematic film that presents the cinematic vision of citizenship issues in light of traditional visions of the concept, and modernist visions in light of globalization.

The main objective of the research is the sociological analysis of citizenship issues in the contemporary Arab reality as reflected in the film

From this general and abstract goal emerges a set of sub-goals:

1- Analyzing the values of citizenship between social reality and the cinematic image.
2- Sociological analysis of citizenship in light of globalization.
3- Comparison between the values of citizenship at the local and global levels.

Research Methodology

Research sample: a purposive sample of films that reflect citizenship issues.

Methods of analysis and interpretation: the qualitative method in light of the research issues and explanatory theories.

The most important results

The research concluded that the cinematic image represented in the research sample succeeded in reflecting a true picture of social reality that reflects citizenship issues for us.

مقدمة في إشكالية البحث

يُثير البحث الراهن قضايا وتساؤت حول المواطنة بين شواهد الواقع الاجتماعي العربي المعاصر وانعكاساتها في الفيلم السينمائي.

وينطلق البحث من افتراض مؤداه أن عالم الاجتماع يهتم بموضوع السينما لكونها إحدى الوسائل الهامة لنشر الأيديولوجيا في المجتمعات البشرية على اختلاف مذاهبها. ويعتقد بعض المحللين أن السينما عنصرًا فاعلاً ومتفاعلاً في المجتمع، ونحن حين نهتم بدراسة الأفلام السينمائية فإن ذلك يؤدي بالضرورة إلى تعميق فهمنا لأنفسنا. فإن لم تكن السينما مرآة عاكسة للمجتمع، فهي صورة لواقع مواز للمجتمع . من ثم.. فقراءة الأفلام السينمائية تكشف عن الكثير من أحوال هذا المجتمع التي قد يصعب التوصل إليها بطريقة أخرى.

وفقًا لذلك .. يناقش البحث الراهن قضايا المواطنة عبر مستويين؛ الأول: المستوى الواقعي بما يُمثله من قضايا المواطنة في الوطن العربي . والثاني: المستوى السينمائي ويجسده الفيلم السينمائي الذي يطرح الرؤية السينمائية لقضايا المواطنة في ضور الرؤى التقليدية للمفهوم، والرؤى الحداثية في ظل العولمة.

يشير مصطلح المواطنة في النظرية السياسية والقانونية إلى حقوق وواجبات الفرد المنتمي إلى الدولة القومية أو دولة المدينة. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن المواطنة قد اتسع نطاقها عند تطبيق الديموقراطية، فأصبحت تتضمن تعريفًا أوسع نطاقًا للمواطن بصرف النظر عن اعتبارات النوع، أو السن، أو الانتماء السلالي (جون سكوت وجوردون مارشال، 2011، ص 249). ولكن التعريفات القاموسية حول المواطنة لا تكفي لتكوين رؤية حقيقية حول تحديات الواقع .

كانت نشأة حقوق الإنسان، سواء على المستوى العملي عند الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن سنة 1789، وديباجة دستور 1791، أو على المستوى الفلسفي في أصلها نشأة إشكالية. منذ عنوان الإعلان نفسه نجد الإشكال الشهير بين "حقوق الإنسان" و "حقوق المواطن". فهل هذه العلاقة الإضافية بين الإنسان والمواطن تعني أن حق الإنسان يوجد مُتضمنًا داخل المواطن، أم أن حق المواطن هو الذي يوجد داخل

الإنسان؟ بعبارة أخرى هل الإنسانية هي التي تشكل معيار المواطنة، أم أن المواطنة هي التي تعطي الإنسانية مضمونها الحقوقي؟ [1] (محمد المصباحي، 2014، ص 28)

ومن هنا.. يهدف البحث الراهن إلى تأمل قضايا المواطنة في ضوء الواقع العربي المعاصر، فالمواطنة ليست مجرد "شعارات" بل هي ممارسات وتطبيقات تحتاج إلى الدعم الموضوعي حتى تتأصل في ثقافة البشر لتسترجع الحق الطبيعي في الكرامة الإنسانية. فإذا تأملنا الوضع الراهن واقعيًا نجد أنه بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من ديسمبر 1948 وما تبع ذلك من اتفاقات متعددة فإن جماعات من البشر لازالت تعاني من قهر مزدوج خارجيًا وداخليًا وتتعرض لاعتداءات خارجية متواصلة من دول كبرى تدعي تمسكها بقيم الحرية ونشر ثقافة حقوق الإنسان (على سبيل المثال حالتي العراق وفلسطين). وتعاني في الداخل من أدوات التحكم المتجبرة فكلا الوضعين الخارجي والداخلي عمدا إلى وأد الحرية وإلغاء مبادئ الديموقراطية والقيم الإنسانية ورسخا ثقافة الدكتاتورية التي قتلت الإنسانية وحطمت ثقافة الانتماء لدى المواطن وهشمت الشعور لديه بالمواطنة.

ولقد أثبتت الأحداث الواقعية أن الإعلان عن شعارات براقة مثل الحرية السياسية والحوكمة وحكم الشعب وغيرها من مصطلحات العصر "العولمي" دون أن يقابلها ثقافة ووعي جماهيري بأساليب ممارساتها، تفشل على الصعيد الواقعي بل تؤدي إلى تفريغ تلك الشعارات من مضامينها الإيجابية مما يحدث خللا في الثقة بين الدولة والجماهير.

انطلاقًا من ذلك يهدف البحث الراهن إلى الدخول في العالم السينمائي وقراءة النص السينمائي وتحليله سوسيولوجيًا في ضوء قضايا المواطنة وتحديات الواقع المعاصر بكل تناقضاته السياسية والاجتماعية ؛ فالفيلم السينمائي هو إحدى صيغ الفكر الاجتماعي مكون من وحدات صغيرة قوامها الكلمة و المؤثرات الصوتية واللقطة (الكادر)، ووحدتها الصورة المتحركة (نسمة البطريق، 1995، ص 16)، و هذه الصيغ الفكرية هي شكل جديد من أشكال التعبير الثقافي تؤثر في المواطن وتعكس قضاياه في الواقع الاجتماعي .

---

[1] يتخذ كانط بصدد العلاقة بين الإنسان والمواطن موقفًا لصالح المواطن والمجتمع الذي ينتجه. فما يجعل الإنسان إنسانًا، ((هي المواطنة، هذه المواطنة التي لا يمكن أن تكون إلا داخل مجتمع تحكمه الدولة، لإنها هي التي تضمن السلم والأمن والتضافر الاجتماعيوالعمل والتفكير. أما هيجل فعلى العكس من كانط، جعل الإنسانية هي جوهر المواطنة.فحقوق الإنسان بالنسبة لهيجل هي حقوقه من حيث هو إنسان، لا من حيث هو مواطن. وهنا يعتقد هيجل أن الدولة هي وحدها التي تستطيع أن تنجز حقوق الإنسان وتحقيقها على أرض الواقع، ومع ذلك فهي غير قادرة على أن تحدد جوهر هذه الحقوق (محمد الصباحي، 2014، ص ص 28– 29).

يتم استعراض محتويات البحث عبر قسمين؛ القسم الأول ويحوي أهداف البحث والمقاربات النظرية التي يتعالج المفاهيم والأطر النظرية، ثم واقع المجتمع العربي فيما يخص قضايا الهوية والمواطنة. وينتهي هذا القسم بإلقاء نظرة تراثية حول الدراسات والبحوث السابقة التي تمس قضايا البحث الراهن.

ثم ينتقل البحث في قسمه الثاني إلى تحديد الإجراءات المنهجية وخطة التحليل وركائزه، واستخلاص النتائج في ضوء قراءة سوسيولوجية لعينة الأفلام السينمائية التي تعالج قضايا المواطنة.

أولاً: أهداف البحث

يتحدد الهدف الرئيس للبحث في التحليل السوسيولوجي لقضايا المواطنة في الواقع العربي المعاصر كما يعكسها الفيلم السينمائي.

وينبثق من هذا الهدف العام والمُجرد مجموعة أهداف فرعية:

1- تحليل قيم المواطنة بين الواقع الاجتماعي والصورة السينمائية.
2- التحليل السوسيولوجي للمواطنة في ظل العولمة.
3- المقارنة بين قيم المواطنة على المستوى المحلي و الكوني (العالمي).

ثانيًا: مُقاربات نظرية .. المفاهيم والأطر النظرية المُفسرة

1- المواطنة **Citizenship**

في علم الاجتماع، استمدت نظريات المواطنة المعاصرة أصولها من الكتابات التي عرفت المواطنة بأنها تلك المكانة التي يتمتع بها شخص ما باعتباره عضوًا كامل العضوية في مجتمع معين. وتتضمن المواطنة ثلاثة عناصر : مدنية، وسياسية، واجتماعية . وتُعد الحقوق المدنية أمرًا ضروريًا للحريات الفردية، ويتم صياغة تلك الحقوق والنص عليها في مواد القانون الرسمي. أما المواطنة السياسية فتتضمن حق المشاركة في ممارسة القوة السياسية في المجتمع، سواء من خلال التصويت في الانتخابات، أو من خلال شغل المناصب السياسية. وتشير المواطنة الاجتماعية إلى حق الاستمتاع بمستوى ملائم من الحياة، وهي تتجسد في نظم الرفاهية، والأنساق التعليمية في المجتمعات الحديثة.

ولقد تجدد الحديث حول المفهوم في إطار الدولة الحديثة، وأصبح تعريف المواطنة يهتم تدريجيًا بالحقوق بصورة أكبر من الواجبات. ويشير المصطلح في العصر الحديث عادةً إلى المؤسسات والهيئات التي تنظم هذه الحقوق في دولة الرفاهية. (جون سكوت وجوردون مارشال، 2011، ص 250)

يمكن تحديد ثلاثة أبعاد أساسية للمواطنة؛ مدني، سياسي، واجتماعي. جاءت الحقوق المدنية أولاً، وقد تحققت فيما يشابه تحققها المعاصر عام 1832. ثم تحققت الحقوق السياسية بعد ذلك، وكان امتدادها أحد الملامح الرئيسية للقرن التاسع عشر على الرغم من عدم الاعتراف بمبدأ المواطنة العالمية حتى عام 1918. بدأ إحياء الحقوق الاجتماعية مع بدأ تنمية التعليم الأولي العام، إلا أنه لم يتحقق حتى القرن العشرين شراكة متساوية مع العنصرين الأخريين من المواطنة (Kath Woodward; 2010, P P 50- 51)

ويمكن التمييز بين وجهين للمواطنة؛ المواطنة الأساسية أو "الفعلية"، والمواطنة الرسمية. ونعني بالأولى (الأساسية) تمتع الفرد بخصائص اجتماعية معينة لها معناها السياسي المُعتد به قانونيًا مثل الحقوق والواجبات والحرية والمشاركة في اتخاذ القرارات. ويعني ذلك تمتع المواطن بالمواطنة كنتيجة لكونه خاضعًا للقانون، و لكونه قادرًا على الاحتكام إلى هذا القانون. أما المواطنة (الرسمية) فهي تقتصر في معناها على كون الفرد عضوًا في دولة قومية (أندرو إدجار وبيتر سيدجويك: 2009، ص 628).

انطلاقًا من ذلك فإن المواطنة تنطوي على دعامتين أساسيتين:

الأولى: فعل المشاركة؛ وهي الجسد الحي للعلاقة بين الوطن والمواطن، ومن ثم تعني المواطنة، في هذا السياق، ممارسة وانتماء.

الثانية: المساواة؛ فعلى الوطن أن يعامل أبناءه دون تفرقة أو تمييز سواء بسبب الدين أو العرق أو الجنس، فالمساواة الكاملة والتامة بين أبناء الوطن الواحد هي الترجمة العملية لمصطلح "مواطنة" (أحمد مجدي حجازي: 2010، ص ص 24- 25)

ويتحدد تعريف المفهوم بعدة أبعاد أساسية، يتمثل البُعد الأول في التحديد اللغوي للمفهوم[2]، بينما يتمثل البعد الثاني في التحديد الذي يفرضه السياق الاجتماعي والثقافي والحضاري للمفهوم، على حيث يتصل التحديد العلمي للمفهوم بالتراث العلمي المُنتمي إليه.

---

[2]) فيما يتعلق بالتحديد اللغوي للمفهوم : لفظ مواطنة مُشتق من مادة "وطن" وهي في لسان العرب لابن منظور "موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان". وورد المصطلح في لسان العرب بأن الوطن بالمعنى الخاص هو البيئة والأرض الذي تتجه إليه عواطف الإنسان القومية ومن منظور نفسي فإن المواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن والقيادة السياسية التي تُعد مصدرًا لإشباع الحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية.
أنظر تفصيلاً:
https://www.maajim.com/dictionary

- عامر الشماع (2011) فكرة المواطنة بين النظرية والتطبيق، الصحوة للنشر، ص 9

والمسألة الجوهرية التي تتمثل لنا في هذا انطاق هي ما يمكن أن نسميه أزمة المفاهيم والتصورات التي تواجهها العلوم الاجتماعية والإنسانية. وينسب "علي ليلة" جذور تلك الأزمة إلى بُعدين؛ الأول: يتصل بالتغيرات المتسارعة التي تقع على الصعيد القومي والإقليمي والعالمي. بينما يستند البُعد الثاني للأزمة التصورية أو المفاهيمية في التراكم الفكري المُتحقق على الصعيد العالمي في مختلف النظم العقلية، وقد ساعد على ذلك الثورة المعرفية التي أسستها تكنولوجيا المعلومات، حيث تراكمت التصورات والمفاهيم التي تشير إلى متغيرات في سياقات اجتماعية متباينة . (علي ليلة، 2007، ص 76). فقد أفرز الفكرُ الإنسانيُّ الحديث مجموعة متنوعة من المفاهيم الحضارية الكُبرى التي غيَّرت من صور المتجمعات التقليدية وأشكال العلاقات السائدة بين الأفراد والجماعات، ومن بين هذه المفاهيم التي ارتبطت بتغيرات مجتمعية سادت مختلفَ بقاع العالم ومنها المجتمع المدني الديمقراطية والعولمة والأمن الإنساني والبيئة والسلام العالمي والمواطنة (أمل أنيس، 2020، ص 21)

ولا جدالَ في أن التغيرات العظمي التي طرأت على عالمنا المعاصر، والتحولات المتلاحقة التي طالت الفضاء العالمي بأكمله؛ مراكزه وأطرافه، أغنياءه وفقراءه والتأسيس لنظام عالمي ليبرالي جديد والإعلان عن تكوين ما يُسمى ب "قرية كونية" تنطلق من مقولة افتراضية "جيران في عالم واحد" لم يكن ذلك دائمًا في صالح مرتكزات «الدولة الوطنية »، ولم تنحز متغيرات النظام العالمي الفائت والحالي إلى ترسيخ ثقافة إنسانية تعترف بخصوصية التراث وأثره الإيجابي في بناء الشخصية الوطنية، وربما – من هذا المنظور – ظهرت مقولات ومفاهيم واتجاهات مدرسة ما بعد الحداثة،Post-Modernization التي تفترض أن تكون بؤرة انطلاقها المعرفي، يمثل الرغبة في إعادة صياغة جديدة تُعيد للإنسان إنسانيته المفقودة، تلك الملامح الإنسانية التي تحطمت مع النزعة الأدائية الصناعية للتقدم المادي الذي طغى على قيم التطور اللا مادي في تلك الدول التي تصارعت وتحاربت من أجل الحراك نحو التقدم التقني في مسار طريقها إلى تأسيس عصر الحداثة

بعبارة أخرى نقول رغم التقدم التكنولوجي غير المسبوق في مراكز العالم المتقدم، والسيولة المعرفية الزاخرة التي انتشرت في معظم أجزاء القرية الكونية الجديدة، والتدفق المعلوماتي الطائر في الفضاء بلا قيد أو رقيب، إلا أن هذا التطور لم يكن – دائمًا –في صالح مفهومي المواطنة والخصوصية، ولم يكن منحازا لقضايا الهوية الثقافية والسيادة القومية لكل الأمم، ولم يكن الانتماء الثقافي المتفرد يعني شيئًا له ما يبرره في عالم مطلوب أن يسعى للاندماج في نظام عالمي جديد، « فالمواطن الكوني « **Citizenship Global** هو

– أحمد الدسوقي (2010)، المواطنة وحقوق الإنسان في ضوء التشريعات الوطنية والمواثيق والاتفاقيات الدولية، في: (المواطنة وحقوق الإنسان في ظل المتغيرات الدولية الراهنة: ندوة)، جامعة 6 أكتوبر، كلية العلوم الاجتماعية، الدار المصرية السعودية، القاهرة.ص 462-463

النموذج العصري في زمن العولمة فهو نتاج ثورة افتراضية عصرية قلبت الحقائق أو ألغت وجودها. (أحمد مجدي حجازي، 2020، ص 7 – 8)

وقد ظهرت فكرة "المواطنة العالمية **Global Citizenship**" كاستجابة للمتغيرات الدولية الحديثة، التي تنطلق من مفهوم إنساني شامل، يسعى إلى تقارب الشعوب وخلق نوعٍ من التعاطف بين المجتمعات والجماعات المتنوعة، وقبول الاختلافات الثقافية ومعالجة المشكلات ضمن منظور عالمي، وتحقيق التنمية المستدامة، والعدالة والمساواة والعمل على نشر السلام العالمي، وتعزيز مفاهيم التفاهم والتسامح والصداقة بين شعوب العالم والإيمان بفكرة المصير الإنساني المشترك. فالمواطنة العالمية تعني في جوهرها القدرة على العيش المشترك في مجتمع يتسم بالديمقراطية والتعددية والانفتاح على العالم، والمشاركة في بناء مجتمع عالمي عادل يحترم الخصوصيات ويشجع على وجود القيم الإنسانية المشتركة. وقد حددت منظمة اليونسكو معنى للمواطنة العالمية وعرفتها بأنها ذلك الشعور بالانتماء إلى المجتمع الأوسع والإنسانية المشتركة، الذي يتخطى الحدود الوطنية، ويقوي الترابط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والترابط بين المستوي المحلي والوطني والعالمي (أمل أنيس، 2020، ص 22).

العولمة أشبه بمنشور زجاجي تنعكس فيه الخلافات الكبرى المُتعلقة بالحالة الإنسانية الجمعية؛ فقضايا الرأسمالية وعدم المساواة والثقافة والهوية، عادت كلها في صورة شكلتها العولمة. إن العولمة ككلمة رمزية تثير الجدل؛ وهي بوصفها تحديًا سياسيًا تتخطى الطيف الأيديولوجي وتنخرط في الحركات الاجتماعية والسياسات على كافة المستويات. وتنطوي العولمة على نقلة نوعية من مرحلة الدولة – الأمة، والسياسات الدولية إلى سياسات النطاق الكوكبي (جان نيدرفين بيترس، 2015، ص 23).

ويعتقد أنتوني جيدنز A.Giddens أن العولمة ليست كلمة جذابة فقد حقق المفهوم شهرة مفاجئة، ولم يكن لها معنى واضح. وبالطبع لم تنمو العولمة بطريقة مُنصفة وغير متحيزة، ويعترض البعض على القول بأننا نعيش في قرية كونية، وإنما هو نهب كوني Global Pillage , والأكثر شيوعًا هو ما نُطلق عليه الاستعمار العكسي Reverse Colonization .إن بزوغ مجتمع المواطنة العالمية الكوني Global Cosmopolitan قد أثر على أساليبنا الحياتية وشكل مجتمعًا بازغًا ذو طراز فوضوي، مجتمع ليس آمنًا مُفعم بالقلاقل، ويتجسد فيه الشعور بفقدان القوة. (A. Giddens, 1999, p p 1-5)

2- الفيلم السينمائي

يبدو مفهوم الفيلم الفني Art movie من الخارج مفهومًا غريبًا. فنحن في الخطاب اليومي لا نتكلم عن "الرواية الفنية"، أو "اللوحة الفنية"، أو "الموسيقى الفنية"، فالأدب والرسم والموسيقى يُنظر إليها باعتبارها فنون بذاتها. وهي تظل – بالمعنى الاصطلاحي– جزءًا من المجال الأوسع للأشكال الفنية . ولكن هذا لاينطبق على الفيلم ؛ وهذا يتطلب البحث عن نشأة هذا الاستخدام الغريب، ويطرح السؤال الأكثر أهمية حول التشكل التاريخي والاجتماعي للسينما كفن (Andrew Tudor, 2005, 125)

إذا تتبعنا تحليل "بيير بورديو "Pierre Bourdieu لحقول الإنتاج الثقافي نستطيع أن ننظر للفيلم الفني كنتاج لمنطق الحقل ونتيجة مشتركة للسمة التجارية للسينما، والنظرة القائمة للفن المعتمدة على الاستقلالية النسبية عن الضغوط التجارية. إن تأسيس النوع الفني المُسمى (الفيلم الفني) كان بمثابة تحديد مساحة من الحقل منيعة نسبيًا ضد التلوث، كأساس التميز ورأس المال الرمزي .

في أمريكا تدل كلمة "movie" على الفيلم السينمائي، وصيغة الجمع "movies" تشير إلى دار السنما أو صناعة السينما بشكلٍ عام، وفي إنجلترا تدل كلمة "flick" للتعبير عن الفيلم، وجمعها "flickes" والتي تُطلق على دار السينما، أو صناعة السينما عامة. (أحمد كامل موسى، مجدي وهبة، 1980: ص 225)

أما النقاد الفرنسيون فهم مُغرمون بالتفريق بين "الفيلم" و "السينما"، فالجانب الفيلمي من الفن هو الذي يتعلق بين هذا الفيلم والعالم المحيط من حوله، أما الجانب السينمائي فيتناول جماليات الفن والبناء الداخلي للفن (جيمس موناكو، 2016، ص 200). كلمة (فيلم) في الإنجليزية تعني "غشاء" أو "بلورة" ؛ بمعنى بلورة التصوير الضوئي، ثم الشريط المثقب المغطى بطبقة حساسة من الضوء تسمح بتسجيل الصور وحفظها، وهي تعني العمل السينمائي . (ماري تيريز جورنو، ترجمة: فائز بشور، 2010 : ص 46)

يتحدد المفهوم الإجرائي للفيلم السينمائي في البحث الراهن باعتباره "الفيلم الذي يعكس قضايا المواطنة كما يخبرها الواقع الاجتماعي العربي على المستوى المحلي والعالمي".

3– الواقع الاجتماعي **Social Reality**

ويُقصد بالواقع الاجتماعي ذلك الواقع الكائن أو القائم المُكون من عدة أبعاد نسقية (بُعد جغرافي، وبُعد بشري، وبُعد حضاري، وبُعد ثقافي، وبُعد تفاعلي تتجسد جميعها في ضوء تجليات الوعي الاجتماعي الذاتي والموضوعي .

الواقع الاجتماعي هو الذي ينشأ عن فكرة أو تصور مُسبق .غير أن هذا الواقع الاجتماعي هو في الواقع ما نعتقد أنه الواقع. وينشأ هذا الواقع عن فكرة شائعة أو فكرة عامة رائجة في المجتمع وفي محيطنا، نقوم بإعطائها المصداقية الكاملة. ويرجع ذلك إلى ثقتنا العفوية بالأحكام الجماعية.

ويشير الباحثون إلى أهمية التفرقة بين الواقع الاجتماعي والواقع السوسيولوجي؛ حيث أن خطر الواقع الاجتماعي المرسوم في ذهننا، في صيغتيه الذاتية والجماعية، هو أنه يؤدي إلى عملية تشويش بالنسبة للبحث الاجتماعي . حيث أن الأفكار التي ينطلق منها الباحث هي كالأعمدة التي تقوم عليها العمارة، فأي خطأ في تحديد هذه الأفكار الرئيسية سوف يؤدي إلى انهيار التحليل.

أما الواقع السوسيولوجي فهو، على الصعيد النظري، نقيض الواقع الاجتماعي من حيث كونه الواقع الموضوعي،لا الموسوم في الذهن، من خلال نتائج تقنيات البحث السوسيولوجي (الملاحظة، المقابلة، استمارة، تحليل مضمون، عينة، فرضيات، إحصاءات) ولا يعني ذلك أن هدف البحث السوسيولوجي هو النفي الدائم لما هو مرسوم في تصورات الواقع الاجتماعي؛ فمن الممكن التوصل إلى تطابق بين الواقعين السوسيولوجي والاجتماعي. إلا أن الاختلاف النظري بينهما يكمن في كون الاجتماعي صادرًا عن تصور مسبق . في حين أن السوسيولوجي يصدر عن تصور لاحق قائم على تحليل علمي (فردريك معتوق، 1993، ص 314).

وفي ضوء ذلك يحاول البحث الراهن تحليل واقع المجتمع العربي وما يحويه من قضايا المواطنة بكل تناقضاته وصراعاته المُعاشة على المستوى المحلي والكوني.

4- الأطر النظرية المفسرة لقضايا المواطنة من المنظور السينمائي.

تدور قضايا البحث الراهن في إطار توليفة نظرية متداخلة، يمكن استعراضها على النحو التالي:

1- المواطنة في ضوء المنظور العولمي

في نطاق تصور العلاقة بين العولمة والمواطنة : يُعد رونالد روبرتسون Robertson واحدًا من أوائل الذين قدموا تصورًا نظريًا للعولمة؛ حيث يشغل مفهوم الوعي الكوني Global Consciousness وضعًا مركزيًا في هذا التصور. ولقد قلبت العولمة نظام العالم وحولته إلى

موضوع للتأمل فيه يجب على كل واحد منا أن يعرف كيف يستجيب على نحو انعكاسي (تأملي) Reflexively إلى مأزق المعيشة المشتركة في عالم واحد؛ الأمر الذي يحث على تشكيل رؤى للعالم World Viewsمتنافسة. ويُفهم من تصور روبرتسون للعولمة اعتبارها تركيزًا للوعي في العالم ككل؛ كنتيجة لما صاحب العولمة من تحولات وتدفق للمعرفة والمعلومات عبر القوميات، وذيوع مبادئ حقوق الإنسان، وانتشار الحركات الاجتماعية التي تنتقد انتهاكات هذه الحقوق، وتدافع عن حقوق المواطنة (علي عبد الرازق جلبي و هاني خميس، 2011، ص 94-95).

وفي ضوء نظرية تشكيل البنية عند جيدنز، يمكن أن نجمع بين مستويين للتنظير – فيما يتعلق بقضايا المواطنة– حيث يتم تفسير كيف تولد التغيرات المحلية البالغة الصغر نتائج على المستوى الأكبر (أنتوني جيدنز، 2000، ص 32). وفقًا لذلك. ومن خلال العلاقة الجدلية، فإن المواطنة عبارة عن مكانة قانونية تُبنى على مجموعة حقوق والتزامات، وما يقربها من مفهوم البنية أو النسق، وأن العولمة عمليات وتحولات؛ وهكذا يمكن القول إن المواطنة – كبنية– عبارة عن ممارسات يُعاد إنتاجها من خلال العولمة والعكس بالعكس(علي جلبي و هاني خميس، السابق ذاته، ص 97)

وهكذا في عصر العولمة حدث تحول جديد حيث بدأت تظهر إرهاصات لشكل جديد للمواطنة. وتوازيًا مع التحولات التاريخية التي قطعها مفهوم المواطنة، حتى وصوله إلى عصر العولمة، وقعت تحولات موازية على صعيد الإطار الاجتماعي والسياسي لمتغير المواطنة. وقد شهد مجتمع الحداثة حركات مقاومة كثيرة قادتها فئات اجتماعية عديدة للحصول على المواطنة الكاملة (علي جلبي وهاني خميس، ، ص 95- 96).

2- مقولات النظريات الثقافية: الدراسات الثقافية للسينما Structural Studies of Cinema و علم الاجتماع الثقافي Cultural Sociology

الدراسات الثقافية Cultural Studies بشكلٍ عام، وعلم الاجتماع الثقافي والفني تحديدًا، يمثلان مجالاً واسع النطاق والمدى للمسائل البحثية المتعلقة بعمليات وبنى صنع المعنى، وبالتحديد بالطريقة التي يصبح بها "المعنى" "معيشًا" في ممارسات الحياة اليومية.

إن مدرسة فرانكفورت هي أول من بدأت العمل في مجال الدراسات النقدية للاتصال الجماهيري والثقافة، وأسفر هذا عن أول نظرية نقدية حول الصناعات الثقافية ومع انتقالها من ألمانيا النازية إلى

الولايات المتحدة، شهدت في البداية ظهور ثقافة وسائل الإعلام التي تشمل السينما، وموسيقى البوب، والإذاعة والتلفاز، وغيرها من أشكال الثقافة الجماهيرية (دوجلاس كيلنر، 2012، ص 94) .

وفي نطاق الدراسات الثقافية، يشير النص Text إلى أي عمل فني . إنه المصطلح العام الذي يُطلق على أعمال فنية أُبدعت في وسائط متعددة مثل الرواية، المسرحية، الفيلم، الإعلانات. ويرتبط تحديد هوية النص ومعناه بموضوع التناص Intertextuality و نظرية التلقي (دور المتلقي) في تشكيل أو إضافة معنى للنص الفني (آرثر أيزابرجر، 2003، ص ص 48- 49).

إن المنظور السوسيولوجي وإسهامه في التحليل الثقافي بشكلً عام كان محل اهتمام حيث يعتقد جانيت وولف: إن الدراسات الثقافية من وجهة نظر بعض الباحثين في أفضل حالاتها ليست إلا دراسات سوسيولوجية لقد اتسعت دراسة الثقافة داخل ميدان علم الاجتماع توسعًا ضخما خلال العقود الأخيرة على أيدي علماء اجتماع الثقافة (Janet Wolff, p 88, 2005. والواقع أنه ظهرت في السنوات الماضية علامات مشجعة في نطاق الحقل السوسيولوجي ترتكز على الإصرار على الانخراط في نظرية نقدية في العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية (Janet Wolff, 2005, p 91)

وفي هذا النطاق تطورت فكرة المواطنة الثقافية بالتدريج في حقل من الاهتمامات المتداخلة يسعى لوضع القيم المعيارية في المجال الثقافي. والقضية المحورية في المواطنة الثقافية هي كيف يؤثر عمل الثقافة على أفكار العدالة والاختلاف في عالم مابعد الحداثة والقوميات؟ (نيك ستيفنسون، 2012، ص 461)

3- نظرية الغرس الثقافي **Cultivation Theory**: وفقًا لهذه النظرية فإن السينما وسيلة لغرس القيم الاجتماعية في عقول المشاهدين الذين يتبنون المعاني والتصورات وينقلونها من عالم السينما إلى واقعهم الاجتماعي.

وقد ظهرت نظرية الغرس الثقافي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال عقد السبعينيات من القرن العشرين، وكان أول تطوير لها من قبل "جورج جربنر" عام 1970،حيث افترض أن التعرض للأفلام السينمئية لفترات طويلة ومنتظمة تُنمي لدى المشاهد اعتقادًا بأن مالعالم الذي يراه على الشاشة إن هو إلا صورة من العالم الواقعي الذي يحياه. وفي ضوء مقولات النظرية فإن الفيلم السينمائي قادر على التأثير في معرفة الأفراد وإدراكهم لما يحيط بهم، وزيادة التعرض للفيلم يؤدي إلى اكتساب المشاهد مجموعة من المعاني والمعتقدات والأفكار والصور الرمزية والتي تشكل واقعًا رمزيًا يختلف عن الواقع الفعلي في البيئة الاجتماعية، وهذا يعني أن الفيلم السينمائي يستطيع أن يغرس في أذهان المشاهدين ووعيهم أفكار ومعاني معينة، بحيث يحل واقع الفيلم محل الواقع الفعلي (محمد عبد الحميد، 1997، ص 263)

ثالثًا: واقع المجتمع العربي: قضايا المواطنة والهوية

ترتبط الهوية بالمواطنة ولا تنفصل عنها ولذلك فإن التركيز على عناصر الهوية المشتركة (التاريخية والثقافية) بين أبناء الوطن الواحد يغذي الإحساس بالمواطنة والانتماء والاندماج الوطني. ويرتبط بذلك أهمية التركيز على عناصر الهوية المشتركة التي تعلو على الهويات الجزئية كالدين أو اللون أو العرق أو النوع أو الانتماء لمنطقة جغرافية بعينها.

ولا شك إنه في حالة إحساس مجموعات وطنية بالمواطنة المنقوصة' فإن ذلك لا يترتب عليه فقط عزلة هذه المجموعات ولكنه يهدد تماسك الدولة. لذلك فإن التأكيد على الهوية المشتركة بأبعادها الكلية يزيد من شعور المواطن بأنه مواطن أصيل يتمتع بكامل حقوق المواطنة في مقابل الشعور بأنه مواطن مقيم في هذا الوطن في إطار من العزلة والمواطنة المنقوصة.

اللحظة التي نعيشها وتمر بها المجتمعات العربية هي لحظة فارقة، فإما بث الطاقة واندفاع الحركة ومن ثم الانطلاق في أكثر من اتجاه للحاق بالعالم المتسارع من حولنا، وإما التآكل والانهيار حتى مواجهة الفناء.

وبرغم تردي الأوضاع العربية الحالية بصورة عامة فيما يتعلق بالتطور الديمقراطي والحالة السياسية بشكلٍ عام، إلا أنها تتباين من حيث حجم التردي الذي بلغته، الأمر الذي قد يفتح المستقبل أمام احتمالات عديدة لأن المستقبل تشارك في صناعته الآن متغيرات عديدة.

يتمثل المتغير الأول في زيادة الاستقطاب الاجتماعي، فمنذ عقد واحد تقريبًا كان عدد السكان العرب تحت خط الفقر نحو 40% من السكان، الآن تتزايد نسبة السكان تحت خط الفقر في بعض المجتمعات العربية لتصل إلى 50% من السكان.، فإذا ترافق مع ذلك تركز الثروات في يد القلة، وبخاصةً إذا كان هذا التركز للثروة عن طريق الفساد، فإن ذلك سوف يكون عاملاً من العوامل المولدة للتوتر الاجتماعي.

ومن شأن هذا الاستقطاب أن يسلم إلى حالة من الفوضى إذا توفر له عاملين: العامل الأول يتمثل في دور الصفوة السياسية والثقافية التي تعمل من مواقع المعارضة والتي تتولى فضح النظام السياسي. ويتصل العامل الثاني بالضغط الذي تمارسه القوى العالمية المتسلطة على النظام العالمي على الأنظمة السياسية العربية بضرورة السير في الطريق الديمقراطي.

وهنا ... تستدعى الذاكرة العربية صورة مأساوية للرئيس السابق صدام حسين وهو خارج من جحره، صورة حزينة مازالت ماثلة وقوية في أذهان الزعامات العربية (علي ليلة، 2007ص 144- 145)

ويتسم واقع المجتمعات العربية بالنمو الحزبي المشوه، حيث تسعى الدولة في المجتمع العربي إلى استكمال أركانها الأساسية، فمثلما أن لها جغرافيا ومجتمع وسكان وحكومة و أعلام ترفرف فوق مؤسساتها، فلماذا لا تكون لها أحزاب تستكمل بها ديكور الدولة. وهكذا وجدنا في بعض النظم السياسية في العالم العربي مثل المغرب ومصر والسودان ولبنان وتونس، تطور أبنية جزبية في مرحلة تاريخية معينة في الربع الأول من القرن العشرين، غير أن هذه البنيات الحزبية ما تلبث أن تتغير بتغير تجربة التحديث، وتفتقد الاستمرار والتجانس والتراكم (علي ليلة المرجع السابق ذاته، ص 159 – 160)

المُتأمل لتاريخ النظام العربي يكتشف أن هناك العديد من المخاطر المحيطة بالأمن القومي للمجتمع العربي. لقد لعبت القوى الأجنبية دورًا كبيرًا في إضعاف القدرات العربية، وعملت دائمًا على كسر الإرادة العربية على مراحل تاريخية متتابعة، كأنما القصد هو تفريغ هذه الإرادة من قدرتها على التحدي. الساحة العربية كانت دائمًا المستقبلة للقوى الاستعمارية الغازية في المرحلة الاستعمارية، حيث قام البرتغال، والأسبان، والأيطاليون والفرنسيون والإنجليز باحتلال العالم العربي بصورة متتابعة أو متزامنة، ومن ثم السعي لإضعافه وكسر إرادته بوسائل عديدة من خلال تشيه اللغة والثقافة والدين، ومحاولة مسخ الشخصية العربية على أرضها. وفي مرحلة تالية سعت لإقطتاع أجزاء من الوطن العربس لصالح قوى إستعمارية واستيطانية جاءت إلى الساحة العربية من خارجها.

عملية قضم العالم العربي من أطرافه ومن وسطه لم تحرك ساكنًا فيه. وفي المرحلة الثالثة عملت العولمة على السيطرة بالقوة الخشنة "العسكرية" أو الناعمة "الثقافة" على المجتمعات العربية، باحتلال بعضها كما حدث في العراق وفلسطين، واختراق البعض الآخر سعيًا لإعادة تشكيله كما يحدث في السودان ولبنان، أو بناء القواعد العسكرية في عض مجتمعات الخليج. (علي ليلة،2011، ص ص 100- 102)

وفي ضوء العولمة أصبح فضاءنا العالمي مُتخم بالهويات الفرعية، مثال على ذلك في عالمنا العربي تتآكل الهوية القومية العربية لتبرز محلها الهويات القطريةوقد تتأكل الهويات القطرية كما في بعض المجتمعات العربية لتبرز الهويات الإثنية كفاعل في التفاعل العالمي.

إذا تأملنا واقعنا العربي نجد أنه منذ عقد واحد كانت هناك الهوية العراقية "القطرية" المتكاملة، غير أنها بدأت تتآكل لتحل محلها هويات كردية وسنية وشيعية، في السودان كانت هناك هوية سودانية واحدة،

بدأت تتآكل الآن لتحل محلها أو توجد إلى جانبها هويات إثنية ومناطقية، ويتكرر الأمر نفسه في لبنان والسعودية والجزائر، والمغرب(علي ليلة، 2011، ص ص 203- 204).

يجب الاعتراف بأن الهوية هي صفات وأحاسيس، ونمط حياة، هي في كل شيء، هي نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به فيتير مه، دون أن يذوب فيه ن يتأصل بداخله لكنه يكتسب الجديد دائمًا. الهوية إذن هي أحد مكونات الشخصية الوطنية . فلا مكان لمن ليس له هوية في ظل عولمة بلا حدود.ومن يحلل الخطاب السياسي في ظل عولمة اليوم يجد اختفاء كلمة "استقلال" أو مصطلح "وطني" (أحمد مجدي حجازي، 2005، ص 25- 26)

وفي هذا السياق وجه أتباع النظريات الجمعية انتقاداتهم لمفهوم المواطن المستقل والمهتم بذاته الذي تصوره بعض المفكرين الليبراليين وزعموا أن إحساس الفرد بالهوية يُعد نتاجًا للعلاقات مع الآخرين في المجتمع الذي يُعد هو جزء منه. ولذلك، فإن الفكر الجماعي يركز على فكرة المواطن المرتبط بمجتمعه Socially– Embedded واكتسب الفهم الأكثر جمعية للمواطنة الذي نما عن الأشكال المتباينة من الهوية، شهرة جديدة في التراث الحديث. ويذهب عدد من الباحثين أنه من المفيد تصور الادعاءات المتباينة بالهوية على أنها أشكال من حقوق المواطنة . فأصوات المواطنين الصادرة عن هويات لا يُعترف بها لا تلقى الاحترام في الواقع (علي جلبي وهاني خميس، 0،2011ص 101- 102)

رابعًا: نظرة تراثية حول قضايا المواطنة والفيلم السينمائي

يمكن إلقاء نظرة تراثية في ضوء محورين

–المحور الأول: دراسات اهتمت بقضايا المواطنة

إذا حاولنا الدخول في دائرة التراث البحثي لقضايا المواطنة والواقع فمن المهم أن نُثير قضية الديمقراطية والمواطنة . وهنا نلتقي بما طرحه محمد عبدالمنعم حول المشاركة الديمقراطية كأساس لمواطنة مسئولة. ويفترض المؤلف أن الديمقراطية والمواطنة صنوان لا يفترقان. فإذا كانت الديمقراطية تعمي في جوهرها الحق في مشاركة جميع المواطنين في صنع القرار على كافة المستويات – من الفرد إلى الدولة_ فإن ذلك يفترض حتمًا أن يكون جميع هؤلاء المواطنين متمتعين بحقوقهم في المواطنة، والتي تنطوي على قيم وممارسات ترتبط بالحرية والمساواة بين الجميع في الوطن الواحد دون تمييز. إذن، فلا ديمقراطية حقيقية دون مواطنة كاملة، والعكس صحيح. ويطرح البحث قضية الاستبعاد الاجتماعي Social Exclusion والمواطنة. وقد يعتقد البعض أن حالة الاستبعاد الاجتماعي تُعد وقفًا على مجتمعات العالم الثالث، وفي

القلب منها العالم العربي. إلا أنه من الملفت للنظر أن هذا المفهوم قد صُك في مجتمعات الغرب الرأسمالي المتقدم وهكذا وُجدت النزعة النخبوية The Elitism، سواء في دول المركز الرأسمالي أو الأطراف التابعة له. وأفضى ذلك إلى طرح تساؤلات إشكالية عديدة بشأن الديمقراطية وحقوق الإنسان، والتي تقع المواطنة في القلب منها، حيث أصبحت قيمًا عديدة في هذا اللصدد على المحك مثل قيم الحرية،المساواة، والمشاركة والعدالة الاجتماعية.

ويعبر رونادو مونك Ronaldo Munck عن هذه الحالة بقوله (التهميش والاستبعاد الاجتماعي، والعولمة، تجتمع كلها في تعبير البرزلة Brazilianization والذي صُك وأصبح شعبيًا من خلال عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك Ulrich Beck وفي ضوء ذلك فإن المواطنة تتطلب حسًا بالانتماء، واستقلالية الفكر والفعل، وضربًا من المساواة في الحقوق المعممة كونيًا بين المواطنين. (محمد عبدالمنعم، 2010، ص 503- 525)

وفي السياق ذاته يتناول أحمد زايد في كتابه (الهوية الوطنية والمسئولية الاجتماعية) فكرة المواطنة انطلاقًا من الرؤية السوسيولوجية لها بوصفها أداة لتأسيس النظام الاجتماعي العام، أي لتحقيق علاقات مستقرة ومستمرة بين أفراد المجتمع تقوم على المساواة في الحقوق والواجبات.

المواطنة ليست مجرد حق قانوني، وتلك قضية هامة في تعريف المواطنة، فالمواطنة أيضًا هي "علاقة". وفقًا لذلك يتبنى كثير من الباحثين تعريف المواطنة بوصفها علاقة سلبية وإيجابية بين الأفراد في دولة، أن هؤلاء الأفراد لهم حقوق وعليهم واجبات في ضوء مستوى من المساواة.

وفي ضوء ذلك، تعتبر حقوق المواطنة حقوقًا عامة تنعكس في قوانين المجتمع وتشريعاته وتُنفذ على كل المواطنين بقدر كبير من المساواة. ويحكم تحقيق هذه الحقوق معايير عامة أو قواعد عمومية Universalistic Rules تنطبق على كل سكان المجتمع، بصرف النظر عن النوع والجنس والثقافات الفرعية. ويتناول زايد الاستبعاد الاجتماعي في ضوء الكوابح التي تُفرض على المواطنة. ويناقش هذا المفهوم(الاستبعاد) Closure من خلال رؤية ماكس فيبر له بوصفه عملية تحاول بها الجماعات الاجتماعية أن تعظم من منافعها ومزاياها وفرص حياتها عن طريق إتاحة هذه المزايا لعدد محدود من الأفراد وحرمان باقي الأفراد منها.وينتهي إلى أن تأكيد الاستبعاد يعمق الشعور بعدم العدالة. (أحمد زايد (2018)

وتثير نيرة علوان مفهوم الوطن والمواطنة بين النظرية والواقع. فى ظل التغيرات المتسارعة التى يشهدها المجتمع المصرى يصبح لزاماً علينا أن ندرك كيف يتصور المصريين انفسهم كمواطنين فى الواقع،

وكيف يدركون المواطن الصالح والمواطن الفاسد ؟ وما معنى هذا الوطن وماهى تصوراتهم عن علاقتهم بالوطن فى ضوء مفهوم المواطنة لديهم ؟ والإجابة على هذه التساؤلات تتم من خلال ثلاثة دوائر.

الأولى: تبدأ من حيث يتكون المجتمع أو من الأرض والمكان فنحاول التعرف على الوطن : بين النظرة السلبية والإيجابية.

الثانية: تتمحور حول المواطن: متصل الصلاح والفساد.

الدائرة الثالثة تدور حول المواطنة: متصل الإيجابية – السلبية

ولتحقيق ذلك تم إختيار الإستراتيجية المنهجية التى تعتمد على عينة واسعة النطاق للحصول على بيانات كمية من خلال استخدام إستبيان"Questionnaire" يتضمن تساؤلات عن رؤية المصريين لمفهوم الوطن والمواطن والمواطنة وقد كان قوام العينة 1387 مفردة، وتم سحب العينة عن طريق الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لتكون ممثلة بشكل كبير للمجتمع

وتم تطبيق البحث فى (5) محافظات هى القاهرة بنسبة 17.8% والقليوبية 21.5% والدقهلية 28.8% وبنى سويف 10.2% وسوهاج 21.6% كما تم إجراء عدد من المقابلات المتعمقة (10 مقابلات) للحصول على بعض البيانات الكيفية من خلال المواطنين

فى صورة نقاط سريعة تتعلق بدوائر التحليل من مفهوم الوطن إلى المواطن ثم المواطنة:

1) الدائرة الأولى: مفهوم الوطن:

أظهرت النتائج أن مفهوم الوطن لدى المصريين اختلطت مكوناته لدى المصريين فامتزج التاريخ بالجغرافيا كما أشار جمال حمدان، حيث أظهر البحث ان المصريين لديهم حباً جماً للوطن على المستوى الذهنى، وإن كانت هناك بدايات لوجود أزمه بين المواطن والوطن أظهرتها المقابلات وذلك بسبب غياب الحقوق الأساسية للمواطنين.

2) الدائرة الثانية: مفهوم المواطن:

اتفق المصريون فى تصوراتهم حول مقومات المواطن الصالح فأظهر المصريون وعياً تاماً بمقومات هذا المواطن وكانت الغالبية العظمى ترى الأهمية الكبيرة لمؤشرات المواطن الصالح "Good Citizen" من الذهاب للتصويت الانتخابى وعدم التهرب من الضرائب ومساعدة الفقراء وطاعة القوانين ومتابعة الحكومة وتفهم وجهه نظر الأخرين والنشاط الاجتماعى والسياسى.

3) الدائرة الثالثة: مفهوم المواطنة:

لقد أظهرت النتائج فى ضوء الثنائيات التى تم تقسيم البحث من خلالها النقاط التالية:

1. المواطنة لدى المصريون تعنى الحق قبل الواجب، كما أن الكثيرون لازالوا يحصرون مفهوم المواطنة فى شقها القانونى والحصول على الجنسية أى أقتصر المفهوم على الجانب اللفظى.

ب- عن رؤيه الذات بين الهامشية والفاعلية للمواطنين المصريين والتى ستنعكس على شكل المواطنة ذاتها، فقد أظهر البحث أن المصريون تقدم لديهم المفهوم الإيجابى عن الذات والإحساس بالفاعلية والنشاط أكثر من الهامشية وقد ازداد الإحساس بالهامشية لدى المواطنون الحضريون فى حين زاد احساس الفاعلية والنشاط لدى قاطنى المناطق الريفية.

ث- رغم أن النتائج أظهرت أن المصريين فى رؤيتهم لشكل مواطنتهم رأوا أنهم مواطنون نشطون ولكن حينما حاولنا نقل هذا التصور الى مصادره والتعرف على شكل هذا النشاط والإنجاز الحقيقى ظهر للبحث، أن الإنجاز الشخصى للأسره المتمثل فى تربيه الأبناء كان هو مصدر الإحساس بالإنجاز الأكبر لدى الشعب المصرى. (نيرة علوان، 2015)

وتواصل الباحثة الاهتمام بموضوع المواطنة، حيث طرحت قضية أخرى هي المواطنة على متصل النشاط والانسحاب فى المجتمع المصرى، للتعرف على ممارسة المواطنة في المجتمع المصري، والتي تجعلها تدور في فلك المواطنة النشطة أم الانسحابيه، وذلك في ضوء مفاهيم متعددة كمفهوم الحقوق والواجبات والعدالة والمساواة وموقف المصريين من المواطنة القومية مقابل المواطنة الكونية.

وقد توخت الدراسة فى التحليل هنا الأسلوب الكمي باستخدام أداه الاستبيان كأداة رئيسية، كما استخدمت أداة مساعدة لجمع بيانات تفصيلية عن عدد محدود من الحالات باستخدام دليل المقابلة (أربعة عشر مبحوث)، مما مكن الدراسة من استخدام اسلوب التحليل الكمي والكيفي لضمان التعددية المنهجية فى أدوات البحث وأسلوب التحليل.

أظهر البحث وجود أنماطا من المواطنة أطلقنا عليها: المواطنة الانسحابية لأنها تتضمن تقهقر متعمد وإحجام عن المشاركة في أي نشاط له طابع وطني، وقد أظهرت المقابلات ان أحد أسباب هذه الممارسة الانسحابية هو: إحساس المصريين من العينة بعدم الحصول على حقوقهم وبخاصة الحقوق الثابتة (Passive) التي أشار إليها "تومبسون" من حقوق العيش الأساسية من كما أظهر البحث ظهور شكل من أشكال "المواطنة المقهورة" التي كانت انعكاسا لعدم الإحساس بالمواطنة الكاملة التي تتطلب المساواة الكاملة .

ومن النتائج الهامة أنه رغم الأشكال الانسحابية غير الفعالة والمقهورة للمواطنة، فإن النتائج الميدانية أكدت بأن مصر كوطن لازال يعني الكثير لأبنائه ورفض غالبية العينة أي تدخل خارجي في الوطن؛ أو المساس بالوطن بأي شكل، كما رفضت الغالبية التخلي عن الجنسية المصرية (نيرة علوان، 2019)

وفي نفس السياق عالجت دراسة (أمل حسن 2017) المحددات التي تقدمها حقوق الإنسان والتي تجسد تصورات المواطنين نحو المواطنة والهوية، فاستعرضت مفاهيم المواطنة والهوية، مُتبنية مدخلاً نظريًا تناول فلسفة حقوق الإنسان ورؤية المواطنة في نطاق المنظور العولمي. ثم انتهت بتحديد وضع الهويى في نطاق الدراسات الثقافية. اعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي، وتم تطبيق استمارة استبيان على عينة عمدية مكونة من (2000 مفردة) رُوعي في اختيارها المتغيرات التي تعكس جوانب الهوية والمواطنة. وتم سحب العينة من محافظات (القاهرة، المنوفية، الفيوم، الاسماعيلية).

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج هامة حول العلاقة بين الهوية والمواطنة، فقد ذهبت الغالبية من المبحوثين (79%)، إلى أن هناك علاقة بين شعور الفرد بالانتماء وإحساسه بالمواطنة، والأمر الهام هنا هو أن هؤلاء، ذهب غالبيتهم (64%) إلى أن شكل هذه العلاقة على وجه التحديد مرتبط بشور الفرد بالمواطنة، فهو الذي يدعم ويغذي إحساسه بالمواطنة. والنسبة الأقل (36%) حددت العلاقة في متغيرات الدين، واللغة، واللون... وهي نتيجة تتسق مع ما أظهرته النتائج أيضًا من عدم إعطاء المبحوثين وزنًا فارقًا لهذه المتغيرات في إحساسهم بالهوية.

أما فيما يتعلق بالمواطنة الكاملة والمنقوصة، فالنسبة الأكبر (68%) يشعرون بالمواطنة المنقوصة والسبب الأول يرجع إلى عدم الشعور بالعدالة الاجتماعية. والسبب الأخير يرجع إلى الهوية المستندة للون، والدين والنوع. ويعني ذلك أن المشكلات المتعلقة بالانتماء والمواطنة لا تعود في أسبابها بشكلٍ مباشر إلى التمييز وتشرذم هويات فرعية، بقدر ما تعود إلى عدم تمتع المواطنين بالعدالة.

المحور الثاني: دراسات اهتمت بالسينما وقضايا الواقع الاجتماعي

تعددت الدراسات و الأقلام التي اهتمت بقضايا الواقع الاجتماعي من المنظور السينمائي. ومن أهمها موضوع المرأة وحقوق المواطنة في السينما المصرية وقد هدف البحث إلى تحليل رؤية الدراما السينمائية لمواطنة وحقوق المرأة المصرية ودورها في تدعيم أو تهميش حقها كمواطنة لها حقوق وعليها واجبات، وذلك من خلال تحليل بعض نماذج من الأفلام السينمائية عبر فترات تاريخية مختلفة، ومعرفة ما إذا كان لها تأثير واضح على واقع المجتمع المصري أولا، في فترة ما قبل ثورة يوليو 1952، وفترة ما بعد ثورة

يوليو(1952– 1970)، وفترة الانفتاح الاقتصادي (1971– 1991)، وفترة الألفية الثالثة (2000– 2008). وتوصل البحث إلى أنه على الرغم من أن الدراما السينمائية حاولت أن تواكب القوانين والدساتير التي تعطي الفئات المهمشة حقوقها القانونية، بل بالفعل تبنت قضاياهم خاصةً قضايا المرأة، إلا أن العادات والتقاليد والأعراف البالية كان حجر عثرة في طريق الأفلام السينمائية، فعملت على طرح القضايا وترك النهايات مفتوحة لرأي الجماهير، مثل فيلم (أريد حلاً) في فترة السبعينيات الذي يعرض قضية المرأة التي تريد الطلاق والقانون لا يعطيها هذا الحق، واستصدار العديد من القوانين وبعد إعطاء المرأة حقها في الطلاق (قانون الخلع)، ثم تناوله في الأفلام السينمائية في فترة الألفية الثالثة مثل (محامي خلع، وأريد خلعًا) ولكن في إطار كوميدي مع إثارة انتباه المرأة حتى لا تُسيء تلك الحقوق في غير صالحها(إحسان سعيد ، 2010، ص ص 1129– 1158)

ومن الدراسات التي اهتمت بالسينما وعلاقتها بالقيم تأتي دراسة (القيم الاجتماعية التي تعكسها السينما المصرية) و التي قدمت رصد تحليلي للقيم كما عكستها بعض أفلام السينما المصرية في الفترة من 2005 إلى 2020 وفقًا لمنظومة القم لدى شالوم شوارتز .

وتحددت عينة الأفلام في ستة أفلام هي (بنات وسط البلد)، (واحد من الناس)، (هي فوضى)، (كباريه)، (واحد صفر)، (عسل إسود). وقد تحدد الإطار المنهجي للدراسة وفقًا لمنظومة نظام القيم المتكاملة عند شالوم شوارتز التي استخلصها في عشرة أنواع من القيم وهي : القوة، الإنجاز، المتعة، التحفيز، التوجيه الذاتي، الشمولية، الخيرية، التقاليد، المطابقة، الأمن. وارتكزت الدراسة في أسلوب التحليل والتفسير على الأسلوب الكيفي.

وقد أظهرت نتائج الدراسة حدوث تداخل في القيم في العصر الحديث في الفترة من 2005 إلى 2010 بمعنى حدوث تناقض وازدواجية ما بين القديم والحديث، كما اتضح انعدام قيمة الأمن سنة 2009 فقط على الرغم من انتشارها بقية سنوات الفترة الزمنية المحددة للأفلام.كما استخلصت الدراسة أن قيمة الخيرية والشمولية اتفقت مع شالوم على أن القيم تعمل كمباديء موجهة في حياة الفرد أو المؤسسة، وتعمل على التمسك بالقيم رغم أي صعوبات تقابلها كما أظهرتها الأفلام (داليا يحيي زكريا، 2021)

وتأتي في السياق ذاته دراسة هامة حول السلوك الإجرامي بين النمط المثالي والنمط الواقعي في ضوء تأثير الأفلام السينمائية على السلوك؛ حيث تسعى الدراسة إلى التعرف على مدى تأثر المجرم في الواقع بالنمط المثالي للمجرم في الأفلام. وتلقي الضوء على العلاقة بين الفيلم السينمائي ودوافع السلوك الإجرامي .

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، حيث تم جمع البيانات عن تأثير الأفلام السينمائية على المجرمين داخل سجن طرة من خلال طريقة دراسة الحالة وطريقة تحليل المضمون. وتحدد مجتمع الدراسة الميدانية في:

- سجن ليمان طرة والذي يضم المجرمين الذين كانوا يشاهدون الأفلام السينمائية والتي أثرت على سلوكهم الإجرامي (وعددهم 20 حالة)

- الأفلام السينمائية ويُقصد بها أفلام الجريمة التي تحتوي على نماذج إجرامية، والتي عُرضت في الفترة من 2000 حتى عام 2015 . وقد تم تحليل مضمون (25) فيلم سينمائي.وقد توصلت الدراسة في نتائجها إلى أن الأفلام السينمائية تلعب دورًا رئيسيًا في سلوك مفردات عينة الدراسة فجميع المبحوثين أكدوا أن الأفلام أثرت على سلوكهم الإجرامي، وأنهم اكتسبوا سلوكيات من النمط المثالي للمجرم في الفيلم السينمائي. وأكدت الدراسة أيضًا أن الأفلام السينمائية بما تعرضه من جرائم عملت على تشجيع النمط الواقعي للمجرم (داخل السجن) على ارتكاب الجرائم (ابتهال عادل، 2018)

ومن الدراسات التي اهتمت بمعالجة قضايا ذوي الإعاقة بين الواقع والسينما تأتي دراسة(أمل حسن 2020، ص ص 127-198) والتي هدفت إلى تحليل الواقع الاجتماعي لذوي الهمم لمعرفة رؤيتهم الذاتية لذواتهم ورؤية المجتمع لهم، مع ممقارنة هذه الرؤى بالصورة السينمائية العاكسة لقضاياهم ولواقعهم.

تحددت منهجية البحث في تحليل نماذج من الأفلام التي تمس حياة المعاقين وهي (قاهر الظلام، الكيت كات، الصرخة، يوم الدين) . بالإضافة إلى تصميم دليل مقابلة وتطبيقه على حالتين من حالات الإعاقة (إعاقة حركية)، و (إعاقة بصرية). و جاءت نتائج الدراسة لتؤكد أن الأفلام السينمائية – موضع التحليل– قد عكست الواقع الاجتماعي الخاص بذوي الهمم، بجانبه السلبي والإيجابي.

هناك صدى اجتماعي واقعي للأفلام السينمائية فيما يخص قضايا المُعاقين واستغلالهم، ومن الأمثلة الصارخة في نطاق البحث الميداني– أن الاستغلال الذي واجهه بطل فيلم الصرخة قد واجهته إحدى حالتي الدراسة، أثناء تلقيها العلاج. ويمكن القول أن السينما في تيارها الواقعي هي مرآة عاكسة لهموم وقضايا الأشخاص ذوي الإعاقة.

خامسًا: الإجراءات المنهجية

- عينة البحث: عينة عمدية من الأفلام السينمائية التي تعكس قضايا المواطنة.

1- فيلم الحدود: سوري أنتج عام 1984. كتب نصه السينمائي محمد الماغوط، إخراج دريد لحام

2- فيلم المواطن مصري: مصري إنتاج عام 1991 إخراج صلاح أبو سيف

3- فيلم الآخر: مصري إنتاج عام 1999، من إخراج يوسف شاهين

4- فيلم كفر ناحوم : فيلم لبناني من تأليف وإخراج نادين لبكي، إنتاج عام 2018.

❖ أساليب التحليل ولتفسير: الأسلوب الكيفي في ضوء قضايا البحث والمقولات النظرية المفسرة.

❖ ركائز استراتيجية التحليل والتفسير:

1- تحديد قضايا المواطنة التي يثيرها الفيلم السينمائي.

2- المقولات النظرية المُفسرة.

3- الواقع الاجتماعي.

سادسًا : نتائج البحث

قراءة سوسيولوجية حول قضايا المواطنة في الفيلم السينمائي

1- قضايا المواطنة في الفيلم السينمائي

يناقش فيلم الحدود في قالب كوميدي ساخر إدعاء الوحدة العربية والتعاون العربي من خلال سائق مسافر بين بلدين، تدعى الغربية غربستان والشرقية شرقستان، تشاء الصدف أثناء مروره في المنطقة الواقعة بين البلدين أن تضيع أوراقه الثبوتية وجواز سفره، فلا يستطيع العودة إلى بلده ولا دخول البلد الآخر. يضطر أن يخيم في منطقة تتوسط المسافة بين البلدين على خط الحدود تماما.

وهنا يُثير الفيلم فكرة "الانتماء"، و"المواطنة"، كوجهين من وجوه الارتباط بالجماعة الوطنية ووجودها السياسي. تقوم بين الانتماء والمواطنة علاقة جدلية وثيقة دقيقة، يزداد غناها، وترتفع حرارتها بقدر ما يتطابق الوطن الجغرافي بالوطن السياسي بالوضع الفكري (الأيديولوجي) بوحدة الجماعة الوطنية. كما يتطرق لفكرة (الهوية) التي لا تتحدد بالأوراق الرسمية فقط.

أما فيلم المواطن مصري فهو فيلم سياسي درامي مُقتبس عن رواية "الحرب في برّ مصر"لمؤلفها «يوسف القعيد» التي تحتل المرتبة الرابعة في قائمة أفضل مائة رواية عربية. أخرجها للسينما المخرج «صلاح أبوسيف».

الفيلم يروي حدوتة «مصري» إبن الخفير الوحيد المعفى قانونا من خدمة التجنيد، الذي يجد نفسه مجبرا على التقدّم للخدمة العسكرية بدل الإبن الثالث للعمدة حتى يوفر لوالديه و لأختيه ما يسد رمقهم، في فترة عرفت فيها مصر إضطرابات سياسية إنتهت بقيام حرب أكتوبر سنة 1973.تدور أحداث الفيلم في فترة حساسة وحرجة في التاريخ العربي بأكمله، والتاريخ المصري على وجه الخصوص.

فكرة المواطنة ومدلولها تتجسد بين ثنيا الأحداث المأساوية، ففي الوقت الذي تخوض فيه البلاد حربا خارجية لتحرير الأرض المسلوبة (سيناء) كانت هناك حرب داخلية تدور رحاها بعنف لا يقل عن سابقتها و ربما تكون هي الأعنف و الأصعب حتى لتحرير الوطن المسلوب (المجتمع) من قبل عناصر الفساد المُلوثة لقيم المواطنة (العمدة و المتعهد وعيرهم).

يحاول الفيلم – من خلال خطي سير متوازيين، أولهما يتابع وقائع حرب أكتوبر بينما الثاني يكشف صراعات الفساد و معاناة ال مواطن" البسيط منها– أن يماهي بين صورة العدّو الخارجي المحتّل المغتصب للأرض و صورة العدوّ الداخلي الفاسد و المفسد المغتصب للوطن، و كأنه يقول بأنّ الثاني لا يقل خطورة عن الأول بل لعله أشد فتكا لأنه يعيش و يمارس جرائمه داخل كينونة الوطن و حماية "القانون".

في الفيلم كما في الواقع، نرى حقيقة واحدة، ظالمة و مثيرة للسخط، تتمثل في ترحيل الفقراء و البسطاء (أبناء الكلب كما أطلق عليهم في الرواية) إلى جبهات القتال و الموت لتتحوّل جثثهم و أشلائهم و دمائهم المسفوكة جسرا يعبر عليها الأغنياء و المترفون (أبناء الناس كما وصفوا في الرواية كذلك) ..و هي حقيقة بلغت ذروة بشاعتها في الفيلم من خلال مأساة "مصري" الذي مات مجهولا ليخلّد إسم غيره في سجلات البطولة و الشرف. و هنا يبلغ الظلم أقصاه.

مصري الذّي سرق منه الوطن بالفقر حقّه في الحياة و التعليم، سرق منه بالفساد و الظلم حقّه في الشهادة و البطولة .. فتحوّل إسمه إلى حبر على وثيقة وفاة مدلسة فيما كان جسده قربانا لمصالح العمدة و عشيرته.

الصراع أو المواجهة لم تبدأ بين "مصري" و "إبن العمدة" – رغم وجود مواجهة غير مباشرة – و إنما هي مواجهة طويلة و قديمة بين العمدة و الخفير و قبلهما الأرستقراطي و الفلاح، و في ذلك إشارة بأن لا شيئ قد تغير في الحقيقة، فمهما إختلفت الأزمنة و أنظمتها السياسية و الإقتصادية، فإن المجتمع دوما مجتمعان : الفقراء المستَغَلون و الأغنياء المستَغِلون.

ويعكس فيلم (الآخر) بُعدًا هامًا من أبعاد قضية المواطنة وهو (الآخر).

كيف تُعالج فكرة الوطن والمواطنة على خلفية علاقتنا بالمصالح العالمية، تتداخل علاقات الحب و الانتماء والإرهاب ليجسد لنا الفيلم كيف ننظر إلى الوطن؟ تبرز فكرة (القيم) في ضوء تقبل الآخر كما يناقشها بطل الفيلم في رسالته للماجستير، وكما يعكسها حبه للبطلة التي تتناقض أوضاع حياتها كليةً مع أوضاع حياته وأطماع والدته.الوجه القبيح للعولمة يبرز من خلال استغلال القوى الخارجية (االتي ترمز إلى أمريكا) لفكرة التسامح الديني مجمع الأديان التي يؤمن بها الفكر الوطني الحقيقي، بينما هي في الحقيقة شعار براق يخفي مصالح عولمية تهدف إلى الهيمنة والسيطرة وتحقيق المنافع الشخصية.

وأخيرًا.. تدور أحداث فيلم الدراما الواقعية "كفرناحوم" فى أحياء بيروت الفقيرة وتحكى عن حياة زين وهو طفل يبلغ من العمر 12 عاما ويحاول دون جدوى منع تزويج شقيقته الصغرى لأنها بلغت سن الزواج. ويبدأ الفيلم وينتهى بمشهد فى قاعة محكمة حيث يقاضى زين والديه اللذين أنجبا عددًا من الأطفال لأنهما جاءا به إلى الحياة

(كفرناحوم)[3] هي قرية فلسطينية ذات رمزية دينية، تم اختيار اسمها كإسقاط رمزي، لارتباطها بموعظة المسيح عليه السلام "عظة الجبل" وبالفوضى التي أصابت القرية واستثنت الأطفال كمغزى رمزي عميق.

يسرد الفيلم قصة الطفل زين، ومعه عالماً عميقاً ممتلئاً بالتناقضات، عالم العشوائيات والفقر والجهل والمخدرات وزواج القصّر والاستغلال والاتجار بالبشر. وتدور الأحداث في سيناريو معقد حيناً وبسيطاً حيناً آخر، لينتهي به الحال محاولاً السفر خارج البلاد بطرق غير شرعية كما تحاول أن تفعل العائلات السورية الأخرى، وأثناء بحثه عن أوراق تثبت قيده مثل هوية أو شهادة الولادة (ولم يجد)، يتفاجأ بأوراق تحمل شهادة وفاة أخته ذات الإحدى عشر عاماً والتي لم تتحمل الجنين في بطنها لتموت أخيراً بنزيف حاد على باب المستشفى التي

[3] أما عن سبب تسمية فيلم كفرناحوم فهو يعود إلى المصطلح الفرنسي الذي يعني الفوضى، فضلًا عن ذلك يُشير الاسم إلى قرية توراتية حُكم عليها بالفشل

رفضت إدخالها لعدم وجود أوراق تثبت قيدها. يظهر لنا زين في المشهد الأخير يرفع قضية على والديه لأنهم أنجبوه إلى هذه الدنيا، وبرسالة واضحة يخاطب فيها العالم

يعكس الفيلم بقصته حال مئات بل الآلاف من الأطفال السوريين سواء كانوا داخل أو خارج البلاد، ممن تعرضوا للاستغلال القسري والعنف الجسدي واللفظي والجنسي. ومن كانوا حبيسي الأزمة ولم يعيشوا طفولتهم بالطريقة المناسبة. وأولئك الذين أودى بهم الفقر والجوع إلى تلك الحالة.

2- يمكنني القول الآن أن البحث قد انتهى إلى أن الصورة السينمائية المُمثلة فى عينة البحث– قد نجحت في أن تعكس صورة حقيقية للواقع الاجتماعي اتعكس لنا قضايا المواطنة وبهذا يمكننا أن نقول أنه في ضوء التحليل السوسيولوجي للفيلم السينمائي، فإن السينما في تيارها الواقعي هي مرآة عاكسة لهموم وقضايا الانتماء والعدالة وقد صورت لنا هموم المواطن العربي عبر مستويات محلية وإقليمية وعالمية (دولية) . فقد شاهدنا الحقوق الضائعة للمواطن في ظل الظلم والفساد داخل المجتمع، مما ينتقص من صورة المواطنة بشكلها المثالي، وشاهدنا انهيار قيم المواطنة بين الدول العربية رغم اشتراكها وتوحدها في خصائص ثقافية. كيف وُضعت الحدود لتعيق المشاركة والوحدة العربية، بحيث يُعاني المواطن العربي من حالة اغتراب داخل وطنه وعلى حدوده . كما شاهدنا المواطنة العالمية كما تبرز في شعارات العولمة، كيف يرانا الآخر وكيف نراه.

ويمكن استخلاص النتائج النهائية للبحث في ضوء الواقع الاجتماعي، والمقولات النظرية في على النحو التالي:

<u>فيما يتعلق بالواقع الاجتماعي</u>

نستطيع أن نتلمس سمات التيار الواقعي السينمائي في الأفلام موضع التحليل البحثي الراهن؛ فالكاميرا بين الناس وفي شوارع المدينة وأبطال الفيلم هم من المواطنين العاديون وليسوا ممثلين محترفين مثل (الطفل زين) بطل فيلم كفر ناحوم.

وتعكس السينما الواقع الاجتماعي في الوطن العربي بكل تحدياته وتناقضاته فيما يتعلق بقضايا المواطنة؛ ففي فيلم الحدود نواجه الواقع العربي البائس حيث تُقام الحدود الشائكة بين الدول العربية بدلاً من إزالتها، نحن نخلق السدود بين عناصر الهوية الوطنية العربية وبأيدينا نضع الأوراق التي تُفرق ولا تُوحد. وفي الوقت الذي يحاول العالم المُسمى بالعالم المُتقدم توحيد صفوفه على المستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي، نجد أحداث فيلم الحدود تتجسد بشكلٍ موازي على الحدود الأردنية السورية.

– أما فيلم المواطن مصري فهو يعكس الواقع الاجتماعي المصري المُفتقد للعدالة، والظلم المُمارس من قبل الفئات المُسيطرة المُستغلة، حيث يفتقد المواطن البسيط مقومات المواطنة والانتماء. وفي فيلم كفر ناحوم تتجسد لنا معاناة الطفل؛ حيث يعكس الفيلم حال مئات بل الآلاف من الأطفال السوريين سواء كانوا داخل أو خارج البلاد، ممن تعرضوا للاستغلال القسري والعنف الجسدي واللفظي والجنسي. ومن كانوا حبيسي الأزمة ولم يعيشوا طفولتهم بالطريقة المناسبة. وأولئك الذين أودى بهم الفقر والجوع إلى فقدان الذات والاغتراب، فيصرخ الطفل صرخته المدوية برسالة يوجهها في المحكمة ضد والديه لأنهم أنجبوه إلى الدنيا. وفي فيلم الآخر نصطدم بقوانين المجتمع المصري المليئة بثغرات يستفيد منها الطبقة العليا الرأسمالية، ويدفع الثمن المواطنين الأبرياء،وهنا تعكس لنا الصورة السينمائية مشهدًا واقعيًا لاتحاد الطبقات الرأسمالية العالمية مع الشرائح البورجوازيه المحلية (داخل المجتمع المصري)، وينجم عن اتحاد المصالح فساد مُجتمعي يصيب جميع عناصر البناء الاجتماعي بكل شرائحه الدنيا والمتوسطة.

فيما يتعلق بالمقولات النظرية المفسرة وقيم المواطنة

ينعكس المنظور العولمي بمقولاته حول الوعي الكوني (بالمعنى الذي طرحه رونالد روبرتسون *Robertson* وأفكار أنتوني جيدنز A.Giddens عن المواطنة – كبنية– عبارة عن ممارسات يُعاد إنتاجها من خلال العولمة والعكس بالعكس. ويتناول هابرماس في نظريته عن الفعل الاتصالي Communicative Action التي تجمع بين النسق وعالم الحياة اليومية، مفهوم المجال العام Public Sphere؛ والذي يشير إلى حيز حقيقي أو افتراضي؛ حيث يلتقي الأفراد بما لديهم من اهتمامات شخصية لمناقشة القضايا المشتركة للوصول إلى هدف مشترك. ويؤكد هابرماس على أن تطوير مجال عام مستقل خارج إطار الدولة، يُعتبر بمثابة شرط مسبق لمشاركة المواطن. ويصبح الأفراد جزءًا من تجمع سياسي أوسع لتحقيق المواطنة الفعالة Active Citizenship

في فيلم (الآخر) تتجسد هذه المقولات في دخول العناصر الخارجية بكل مصالحها وتوجهاتها الاقتصادية إلى أرض الوطن. بينما نلاحظ المجال العام ضعيفًا ومتهاويًا. وأمام الأهرامات كرمز تاريخي على هوية الوطن وتاريخ حضارته تتداخل الشرائح داخل وخارج الوطن في مشهد مُعبر عن تناقضات العولمة وزيف شعاراتها البراقة الخادعة عن (حقوق الإنسان) و (المشاركة السياسية).

وفي ضوء نظرية الغرس الثقافي فإن قيم المواطنة تتجسد في الأفلام بشكلٍ جلي، قيمة الانتماء يناقشها فيلم الحدود، حيث الهوية تتحدد في ضوء الأوراق وتتمزق بين الهويات المتنازعة المتصارعة. ويُثير فيلم المواطن مصري في الذهن فكرة المواطنة والعدالة تحت مظلة القانون .

وفقًا لتعريف المواطنة، فالمشاركة والمساواة هما ركيزتان هامتان افتقدهما المواطن المصري الذي سُلبت منه هويته لصالح ابن العمدة. وهنا تفقد المواطنة معناها على المستوى الأساسي أو الرسمي. فلا يشعر المواطن بانتماءه للكيان المجتمعي الذي هو جزء منه، ولا يتمتع بحقوق ومميزات هويته الوطنية ولا هو قادر على اتخاذ أي قرار يتعلق بحياته وحريته.

توصيات البحث

1- في ضوء نتائج البحث الراهن من الضروري لفت الانتباه إلى أهمية الفيلم السينمائي في عملية غرس قيم المواطنة الفعالة في أذهان ونفوس المشاهدين.
2- يمكن توظيف فكرة (الغرس الثقافي) من خلال إعداد وإنتاج أفلام سينمائية توثيقية للأطفال توضح وتشرح قيم المواطنة والانتماء وتوجههم إلى كيفية الحفاظ على هويتهم العربية في مواجهة الغزو الثقافي الذي يهدد ثقافتنا.
3- يمكن توجيه صناع السينما ومنتجيها إلى أهمية إنتاج أفلام سينمائية جادة تناقش الأفكار المتعلقة بالمواطنة والانتماء والعدالة الاجتماعية، وتوضيح تأثير هذه الأفلام على المواطنين وعلى المجتمع.
4- من الضروري لفت انتباه صناع القرار في المجتمع إلى دعم صناعة السينما ماديًا ومعنويًا بهدف إنتاج أفلام قيمة تعكس قضايا الوطن والمواطنة.
5- وجه البحث الراهن نداء إلى القائمين على السياسة التعليمية بضرورة إضافة مناهج تربوية يكون من شأنها دراسة وتحليل الأفلام السينمائية الجادة المهتمة بقضايا المواطنة، وبشكلٍ عام يمكن إضافة مقررات دراسية تهتم بالجانب الفني والإبداعي للطلاب، وتنمية مواهبهم الفنية في الاتجاه الإيجابي.
6- من الضروري وجود تعاون جاد بين الوزارات المختلفة (التعليمية والإعلامية والاقتصادية) في مجال الإنتاج الفني بشكلٍ عام والسينمائي على وجه الخصوص، بما يعود بالنفع على المواطن، من خلال

رفع الوعي والتأكيد على القيم الإيجابية والدفاع عن الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية للمجتمع العربي.

المراجع

المراجع العربية

1- إبتهال عادل أنور (2018)، السلوك الإجرامي بين النمط المثالي والنمط الواقعي. دراسة سوسيولوجية حول تأثير الأفلام السينمائية على السلوك الإجرامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع.

2- إحسان سعيد (2010)، المرأة وحقوق المواطنة في السينما المصرية . تحليل لنماذج بعض الأفلام، في:(المسئولية الاجتماعية والمواطنة : مؤتمر 16- 19 مايو 2009) المجلد الثاني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة.

3- أحمد زايد (2018)، "الهوية الوطنية والمسئولية الاجتماعية"، دار العين، القاهرة.

4- أحمد كامل موسى ومجدي وهبة (1980)، معجم الفن السينمائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

5- أحمد مجدي حجازي (2020)، العدد الأول سبتمبر، (المواطنة وسؤال الهوية رؤية في شروط تحقيق الأمن الإنساني)، مجلة تنوير، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة.

6- أحمد مجدي حجازي (2010): "المواطنة والانتماء بين النظرية والتطبيق: التجربة الماليزية نموذجًا"، في: (المواطنة وحقوق الإنسان في ظل المتغيرات الدولية الراهنة: ندوة)، تحرير: أحمد مجدي حجازي، جامعة 6 أكتوبر، كلية العلوم الاجتماعية، الدار المصرية السعودية، القاهرة.

7- أحمد مجدي حجازي (2005)، العولمة بين التفكيك وإعادة التركيب. دراسات في تحديات النظام العالمي الجديد، الدار المصرية السعودية، القاهرة.

8- أمل أنيس (2020)، العدد الأول سبتمبر، بين المواطنة العالمية وسيادة الدولة الوطنية، التنوير، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة

9- أمل حسن (2017)، العدد التاسع عشر، يناير، حقوق الإنسان بين مقومات المواطنة ومحددات الهوية: دراة ميدانية حول تصورات المواطنين في بعض محافظات المجتمع

المصري، المجلة العربية لعلم الاجتماع، جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة.

10- أمل حسن (2020)، ذوي الإعاقة بين الصورة السينمائية والواقع الاجتماعي: تحليل سوسيولوجي لبعض نماذج سينمائية وواقعية في المجتمع المصري، في : قضايا ذوي الإعاقة في وسائل الإعلام العربي، تحرير: عبيدة أحمد صبطي، المركز العلمي للنشر، دار المعارف، القاهرة

11- أنتوني جيدنز (2000) قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع، ترجمة : محمد محيي الدين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

12- أندرو إدجار وبيتر سيدجويك (2009)، "موسوعة النظرية الثقافية"، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

13- جان نيدرفين بيترس (2015)، العولمة والثقافة . العولمة والثقافة المزيج الكوني، ترجمة: خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

14- جون سكوت وجوردن مارشال (2011): موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، المجلد الثالث،، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

15- جيمس موناكو (2016)، كيف تقرأ فيلمًا. الأفلام والوسائط ومابعدها. الفن والتكنولوجيا، واللغة، والتاريخ، والنظرية، ترجمة: أحمد يوسف، المجلس القومي للترجمة، القاهرة.

16- داليا يحيي زكريا (2021)، القيم الاجتماعية التي تعكسها السينما المصرية . تحليل مضمون لبعض الأفلام في الفترة من 2005 إلى 2020، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع.

17- دوجلاس كيلنر (2012)، مدرسة فرانكفورت، في: النظرية الثقافية وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تحرير: تيم إدواردز، ترجمة: محمود أحمد عبدالله، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

18- علي عبد الرازق جلبي وهاني خميس أحمد (2022) : "العولمة والحياة اليومية" ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

19- علي ليلة (2011)، الأمن القومي العربي في عصر العولمة. اختراق الثقافة وتبديد الهوية، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

20- علي ليلة (2007)، المجتمع المدني العربي. قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

13 - ماري تيريز جورنو (2010) معجم المصطلحات السينمائية تقنية الكتابة للسينما، ترجمة: فائز بشور، آفاق سينمائية، المؤسسة العامة للسينما، وزارة الثقافة، دمشق.

14 - محمد المصباحي (2014)، الخلفية الفلسفية لحقوق الإنسان، في (الفلسفة وحقوق الإنسان)، المؤتمر الدولي الثاني لقسم الفلسفة 22- 23 مارس 2010، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

15 - محمد عبد الحميد(1997)، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة.

16 - محمد عبد المنعم (2010)، المشاركة الديمقراطية كأساس لمواطنة مسئولة، في: (المسئولية الاجتماعية والمواطنة: مؤتمر)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة.

17 نسمة أحمد البطريق (1995)، "نصوص السينما والتلفزيون والمنهج الاجتماعي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

18 - نسمة أحمد البطريق (1995)، "نصوص السينما والتلفزيون والمنهج الاجتماعي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

19 - نيرة علوان (2015)، المجلد 75 العدد 1، يناير، مفهوم الوطن والمواطنة بين النظرية والواقع، مجلة كلية الآداب، الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة القاهرة، القاهرة.

20 - نيرة علوان (2019)، العدد الثالث والعشرون - يناير 2019 المواطنة على متصل النشاط والانسحاب فى المجتمع المصرى، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة.

21 - نيك ستيفنسون (2012)، المواطنة الثقافية. قضايا النزعة الاستهلاكية والاستهلاك والسياسة، في : النظرية الثقافية وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تحرير: تيم إدواردز، ترجمة: محمود أحمد عبدالله، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

المراجع الأجنبية

1- Andrew Tudor, (2005) "The Rise and fall of the Art, (House Movie,). P P 125- 138)" In: (The Sociology of Art. Ways of seeing), Edited by David Inglis and John Hughson, Palgrave Macmillan, New York.

2- Anthony Giddens (1999) , "Runaway World: How Globalization is Reshaping our lives" , Profile Books, London

3- David Inglis, (2005), "Thinking Art Sociologically", In: (The Sociology of Art. Ways of seeing), (P P 1- 29). Edited by David Inglis and John Hunghson, Palgrave Macmillan, New York.

4- David Inglis, (2005), "Thinking Art Sociologically", In: (The Sociology of Art. Ways of seeing), (P P 1- 29). Edited by David Inglis and John Hunghson, Palgrave Macmillan, New York.

5- Janet Wolff, (2005) "Cultural Studies and the Sociology of Culture", (P P 87- 97) In: (The Sociology of Art. Ways of seeing), Edited by David Inglis and John Hughson, Palgrave Macmillan, New York

6- Kath Woodward: "Social Sciences. The big issues", Rutledge, London and New York, second edition, 2010